الاكتساب
في الرزق المستطاب
للشيباني

برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام
د . ناصر الأنصاري

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
المجلس القومى للشباب
وزارة التنمية الإقتصادية

تصميم الغلاف
د . إيناس حسنى

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الاكتساب
في الرزق المستطاب
للشيباني

تحقيق
عبد الله المنشاوي

لوحة الغلاف من أعمال الفنانة : إنچى أفلاطون

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

الشيبانى ، محمد بن الحسن بن فرقد، ٧٤٨ - ٨٠٤.
الاكتساب فى الرزق المستطاب/ للشيبانى؛ تحقيق عبدالله المنشاوى .. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.
١٠٠ ص ؛ ٢٤ سم. (مكتبة الأسرة ٢٠٠٨ تراث).
تدمك : ٠ - ٥٣٢ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨.
١ - الإسلام - النظام المالى فى.
أ - المنشاوى، عبدالله (محقق) .
ب - العنوان . جـ - السلسلة .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٦٩١ / ٢٠٠٨
I.S.B.N 978 - 977- 420 -532 - 0
ديوى ٢٥٧,٢

توطئة

منذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع، ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على

منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى. ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش؛ ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

الشيبانى، هو أبو عبد الله محمد بن فرقد الشيبانى، ولد بـ «واسطة» عام ١٣٢هـ ونشأ بالكوفة، كان أبوه من أهل الجزيرة من جند أهل الشام وتوفى عن عمر يناهز ٥٨ عامًا، وذلك فى سنة ١٨٩هـ فى قرية زنبويه.

تتلمذ على أيدى أبى حنيفة وأبى يوسف وحرر المذهب النعمانى المجمع على فقهه ونباهته، وللشيخ محمد من الكتب ما يربو على اثنين وخمسين كتابًا، وله عن الحج كتب يضم كتبًا كثيرة، فله كتاب الجامع الكبير، كتاب آمالى محمد فى الفقه وهى الكيسانيات، كتاب الزيادات، كتاب التحرى، كتاب المعاقل، كتاب الرد على أهل المدينة، كتاب نوادر رواية رستم.

هذه هى الكتب التى ذكرها ابن النديم، وأمهات هذه الكتب كما قال: الحنفية ستة: المبسوط، والزيادات، والجامع الصغير والجامع الكبير والسير الصغير، والسير الكبير، وأطلق عليها الحنفية بكتب ظاهر الرواية؛ لأنها رويت عن محمد بروايات الثقاة فهى ثابتة عنه، وكتبه الأخرى لم تصل بسند مثل سابقتها، مثل: الكيسانيات، والمارونيات، والجرجانيات، والرقيات.

والكتاب الذى بين أيدينا قام باختصاره محمد بن سماعة بن عبدالله بن هلال المولود فى عام ١٣٠هـ أى أنه أكبر من أستاذه محمد بن الحسن، وقد توفى عن عمر يناهز مائة سنة وثلاث، وله من الكتب: كتاب أدب القاضى، والحاضر والسجلات.

أما عن أصل هذا الكتاب المختصر فلم يعد موجودًا فى أية مكتبة عربية،

حيث لم يتم حفظه جيدًا، وما بين أيدينا فقط مختصر له قام به أحد تلامذته وهو محمد بن سماعة.

يناقش الكتاب العديد من الموضوعات منها: باب الاكتساب عن أهل اللسان ويقصد بذلك تحصيل المال بما يحل من الأسباب ولكى ينال ذلك لابد من إقامة الفريضة ولأنه لم يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به فيكون فرضًا بمنزلة الطهارة لأداء الصلاة، ثم يوضح لنا فوائد الكسب وبيانه من وجوه منها: أن تمكنه من أداء الفرائض بقوة بدنه، ثم الكسب عن طريق المرسلين صلوات الله عليهم وقد أمرنا بالتمسك بهم والاقتداء بهديهم، ويوضح لنا أن الكسب نوعان: كسب من المرء لنفسه، وكسب منه على نفسه، شارحًا ذلك بما فى القرآن والسنة النبوية.

ويبين لنا أن الاكتساب طريق المرسلين، ثم يطرح سؤاله: هل الشكر على الغنى أفضل من الصبر على الفقر؟ ثم يشير إلى مراتب الكسب والإباحة فى المكاسب، ويشرح لنا أنواع المكاسب الأربعة وهى: الإجارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة، وبعد ذلك يشرح لنا أن طلب العلم فريضة، فالتعليم يكون أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

ويبين لنا أن الإسراف فى الطعام أنواع، فلابد من الزهد فى الطعام، ثم انتقل إلى حكم لبس الحرير، وحكم نقش وتجصيص المساجد، ويختتم الكتاب بالخصال التى لابد للمسلم أن يتمسك بها: كالتحرز عن ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفيها التحرز عن السحت واكتساب المال فى غير حله، ومنها التحرز عن الظلم لأى من المسلمين أو المعاهدين.

ومكتبة الأسرة تقدمه ضمن إصداراتها هذا العام عن طبعته الصادرة فى مصر عام ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله . نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير قال تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٧٣] . وقال تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة قال رسول الله ﷺ : « **لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا** » .

وبعد :

فقد يخطر بفكر بعض الباحثين من أن بعض المضوعات في بعض المجالات لم يتطرق إليها المتقدمون وهذا الكلام غير صحيح فالمتأمل والباحث على ما حدث في بغداد عند غزو التتار لبلاد المسلمين وما وقع للدولة الإسلامية في بلاد الأندلس يعرف مدى النكبة التي أثرت على الحضارة الإسلامية، ومع ذلك فقد توصلنا إلى بعض الكتب التي أفادتنا في معرفة شريعتنا الغراء وشمولية ديننا .

فنجد أن المتقدمين كتبوا في نظام الدولة المالي ومن أراد أن يقف علي شيء من ذلك فليقرأ كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي بن سلام، وكتاب الخراج ليحيى ابن آدم وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم، وكتاب الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلى وغيرها .

فهـذه الكتب توضح لنا هذا النظام وتوقفنا على مـا رآه القوم ذلك وقت في شأنه.

وعن النظام السـياسي فيـوجد: كتـاب الأحكام السلطانية لـلقاضي الماوردي وكتاب الأحكام السلطانيـة أيضًا لأبي يعلي محمد بن الحسين الحنبـلي، والسياسة الشرعـية لابن تيميـة وما ألف من الكتب والرسائل في السـياسة الشرعـية ونظام الحسبة في الإسلام .

وأما الحـديث عن المال وطرق إنمائه والسعي في طلب الرزق فـأول من كتب في ذلك على ما نعلم الإمام مـحمد بن الحسين الشيبـاني صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعـمان وجامع مذهبه في كـتبه المعروفة بكـتب ظاهرة الرواية وغيرها فقـد جمع في ذلك كـتابًا آسـماه (الاكتـساب في الرزق المسـتطاب) ولكن هذا الكتـاب ذهب فيمـا ذهب من الذخائر الإسـلاميـة غير أنـه مما يسلينا أنه بقي لنا مختصره وأظن أن هذا المختصر لا ينقص عن الأصل كـثيرًا إذ هو اختصار تلميذه محمد بن سماعة .

ويقول صاحب كتاب «كشف الظنون» كتاب الكسب لأبي عبد الله أحمد بن حرب النيسابوري المتوفي سنة ٢٣٤ وللإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني وقد شرحه الإمام شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي المتوفي سنة ٤٨٣ وللحلواني شمس الأئمة كتاب الكسب أيضًا .

وقـد ألف في هذا الموضوع أبو عـبـد الله جمـال الدين ابن القـاضي عبـد الرحمن بن عمـر الحبيشي الوصابي المولود فـي سنة ٧١٢ والمتوفي سنة ٧٨٢ كان شافعي المـذهب جمع كتابًا وأسـماه كتاب البركـة في السعي والحركـة وإليه أشار صاحب كشف الظنون أيضًا قال: « البركة في مدح السعي والحركة للشيخ جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الحبيشي اليمني» .

قلنا فيما سبق: أن أصل كـتاب الاكتساب لم يصل إلينا وأن الذي بين أيدينا إنما هو مخـتصره وصـاحبه تلمـيذ المؤلف مـحمد بن سـماعة قـال سألني بعض الأصدقاء أن أخـتصر كتـاب الإمام العلامة مـحمد بن الحسن رحمـه الله المسمى بالاكتساب في الرزق المستطاب فاستخرت الله وشرعت فيه راجيًا الثواب .

ومن كلمة المختصر هذه تعلم أن اسم الكتـاب هو الاكتساب لا الكسب كما

ذكره صاحب كشف الظنون بدأ المؤلف كتابه بقوله : طلب الكسب فرض على كل مسلم كما أن طلب العلم فريضة على كل مسلم .

وبعد أن ذكر هذا الأصل شرع يستدل عليه لما ورد في السنة عن رسول الله ﷺ وبما روى من الآثار عن الصحابة والتابعين وأطال في ذلك وأنجز الكلام إلى التوكل ومعناه وبيان المتوكلين وأن التوكل لا ينافي الكسب والسعي، وبين رأي بعض الفرق التي خالفت جمهرة الفقهاء في فرضية الكسب مثل: الكرامية ورد عليهم وبين خطأ مذهبهم وذكر أن الكسب فيه معنى المعاونة على القرب والطاعات أى كسب كان حتى فتال الحبال ومتخذ الكيزان والجرار وأن المكاسب كلها في الإباحة سواء حتى الحرف الدنيئة في عرف بعض الناس خلافًا لمن زعم أن الحرف الدنيئة لا تباح إلا عند الضرورة .

ثم تكلم على أنواع المكاسب وحصرها في أربعة : الإجارة والتجارة والزراعة، والصناعة وذكر التفاضل بين هذه الأشياء وأيها يفضل الآخر والخلاف في ذلك.

وبعد ذلك تعرض لبيان الإسراف وحده وبيان الأشياء التي تعد من الإسراف في المأكل والملبس ولم يفته أن يتكلم في إعانة الرجل أخاه ومتى تجب عليه الإعانة ومتى لا تجب مبينًا آراء الفقهاء في ذلك ووجهة كل فقيه .

ويستتبع ذلك الكلام في حل الصدقة وجواز السؤال عند الضرورة وفي كل ذلك يطيل ويبين حكم كل مسألة بالدليل إذا كان من القرآن أو من السنة وما كان عليه عمل الصحابة والتابعين .

هذه نظرة سريعة نفهم منها ما يتضمنه هذا الكتاب وما يشتمل عليه من أبحاث .

*** التعريف بالمؤلف :**

هو أبو عبد الله محمد بن فرقد الشيباني .

قال الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد): أصله من أهل قرية تسمى حرستا قدم أبوه العراق فولد له محمد بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبوه من أهل الجزيرة من جند أهل الشام .

وفي مناقب أبي حنيفة للكردري عن الصيمري عن القاضي أبي حازم أن والده مولى لبنى شيبان من قرية فلسطين .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموى : حرستا بالتحريك وسكون السين وتاء قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ وحسرتا المنظرة من قرى دمشق أيضًا بالغوطة في شرقيها .

وقال ابن خلكان: أن والد محمد بن الحسن من قرية حرستا التي بالغوطة وهى التي يقال لها حرستا المنظرة على ما يفهم من عبارة ياقوت .

ولد محمد بواسط ونشأ بالكوفة مع والده وسمع العلم بها من مسعر بن كدام وسفيان الثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول وذهب إلى المدينة فأخذ عن مالك بن أنس وروى عنه الموطأ واستقر به المقام مع شيخه أبى حنيفة إذ توفي أبو حنيفة وعمر محمد نحو الثمانية عشر عامًا وأتم الطريقة على أكبر تلاميذ الإمام أبى يوسف وأخذ عن الأوزاعي وبكير بن عامر وغيرهما .

وروى الحديث عن مالك ودونّ الموطأ وحدث به وقد طبع موطأ مالك برواية محمد بن الحسن في الهند .

قال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول: قال محمد بن الحسن: أقمت على باب مالك ثلاث سنين وكسيراً وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث.

وكان محمد يطلب الحديث والعلم بالكوفة وسمع من الأحاديث شيئًا كثيراً فعاشر أبا حنيفة وسمع منه ونظر في الرأى فغلب عليه وعرف به ونفذ فيه .

*** مكانته العلمية :**

يقول علماء الحنفية: إن علم الفقه زرعه عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل وسقاه علقمة وحصده إبراهيم النخعي وطحنه أبو حنيفة وعجنه أبو يوسف وخبزه محمد بن الحسن فسائر الناس يأكلون من خبزه يريدون بذلك أن أول من تكلم في استنباط فروع الفقه عبد الله بن مسعود وأيده ووضحه علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك وجمع ما تفرق من فوائده ونوادره وهيأه للانتفاع به إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي واجتهد في تنقيحه وتوضيحه حماد بن

مسلم الكوفي شيخ الإمام أبي حنيفة وأكثر أصوله وفرع فروعه وأوضح سبله إمام الأئمة أبو حنيفة النعمان فإنه أول من دون الفقه ورتبه أبوابًا وكتبًا على نحو ما هو عليه اليوم ودقق النظر في قواعد الإمام وأصوله واجتهد في زيادة استنباط الفروع منها تلميذ الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم فإنه أول من وضع الكتب في أصول الفقه وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبى حنيفة في أقطار الأرض وزاد في استنباط الفروع وتنقيحها وتهذيبها وتحريرها الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبى حنيفة وأبى يوسف وهو محرر المذهب النعماني المجمع على فقاهته ونباهته .

قال الخوارزمي أن الإمام أبي حنيفة اجتمع معه نحو ألف من أصحابه أجلهم وأفضلهم أربعون قد بلغوا حد الاجتهاد فقربهم وأدناهم وقال لهم إنى ألجمت هذا الفقه وأسرجته لكم فأعينوني فإن الناس قد جعلوني جسرًا على النار فالمنتهى لغيري واللعب على ظهري فكان إذ وقعت واقعة شاورهم وناظرهم وسألهم فيسمع ما عندهم من الأخبار والآثار ويقول ما عنده ويناظرهم شهرًا أو أكثر حتى يستقر آخر الأقوال فيثبته أبو يوسف حتى أثبت الأصول على هذا المنهاج شورى لا إنه انفرد بذلك .

فتتلمذ محمد بن الحسن عن يد الإمام أبي حنيفة أولاً وبعد وفاته تلقى عن أبى يوسف .

ويقول بعض علماء الحنفية : إن كل تأليف لمحمد وصف بالصغير فهو من روايته عن أبي يوسف عن الإمام مثل الجامع الصغير والسير الصغير وما وصف بالكبير فروايته عن الإمام بلا واسطة.

وروى أن والد محمد ترك له ثلاثين ألف درهم أنفق منها على النحو والشعر خمسة عشر ألفًا وعلى الحديث والفقه خمسة عشر ألفًا كما يقول .

ولحرصه على وقته وجعله خالصًا للعلم كان يقول لأهله: لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا فتشغلوا قلبي وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي فإنه أقل لهمي وأفرغ لقلبي .

وبلغ شغله بالعلم أنه كان يتوسخ لباسه ولا يتفرغ لنزعه حتى يؤتى بثوب

غيره فيلبس وينزع وكان يستعين بعشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرآن عليه العلم .

وقال أبو على الحسن بن داود : فخر أهل البصرة بأربعة كتب : كتاب البيان والتبيان للجاحظ ، وكتاب طبائع الحيوان له ، وكتاب سيبويه ، وكتاب العين للخليل ، ونحن نفتخر بسبع وعشرين ألف مسألة في الحلال والحرام عملها رجل من أهل الكوفة يقال له محمد بن الحسن قياسية عقلية لا يسع الناس جهلها وكتاب الفراء في معاني القرآن ، وكتاب المصادر في القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء ، وكتاب الواحد [1] والجمع ولنا واحد أملي من الأخبار مثل كل كتاب ألفه البصريون وهو ابن الأعرابى وكان أوحد الناس في اللغة .

*** ثناء العلماء عليه :**

كتب محمد بن الحسن إلى أبي يوسف في بغداد يقول له إنى قادم عليك للزيارة فخطب أبو يوسف في الناس وقال: إن الكوفة زفت إليكم فهيؤوا له العلم.

وروى السمعانى عن الربيع بن سليمان عن الشافعي أنه كان يقول غير مرة: ما رأيت مثل محمد ينطق بالحكمة ويسمع ما لا يحب فيحتمل .

وقال مرة : ما تكلم أحد بالرأى إلا وهو عيال على أهل العراق وما رأيت في أهل الرأي مثل محمد وما رأيت أفصح منه كنت إذا رأيته يقرأ كأن القرآن نزل بلغته وكان إذا أخذ في المسألة كأنه قرآن ينزل عليه لا يقدم حرفًا ولا يؤخر.

والشافعي على جلالته مدين لمحمد بن الحسن بعلمه وحياته فقد أمده بالعلم والمال ونجاه من تهمة التشيع للعلويين فكان سببًا في إبقاء الرشيد عليه مع قتله من كان معه في خبر يطول لهذا .

يقول حافظ الأندلس ومحدثها ابن عبد البر : إنه يجب على كل شافعي أن يذكر هذه المكرمة لمحمد بن الحسن .

ويذكر الخطيب البغدادي عن يحيى بن صالح أنه قال: قال لى ابن أكثم: قد رأيت مالكًا وسمعت منه ورافقت محمدًا فأيهما أفقه محمد بن الحسن فيما يأخذه

---

(١) الذي في فهرس ابن النديم كتاب الجمع والتثنية في القرآن .

لنفسه أفقه من مالك وهذه الشهادة أيضًا تروى عن الشافعي .

وروى أن إبراهيم الحربي صاحب أحمد بن حنبل قال : سألت أحمد بن حنبل قلت هذه المسائل الدقاق من أين لك؟ قال : من كتب محمد بن الحسن.

رأى الإمام أبو حنيفة فيه جمالاً كثيراً فقال لوالده لما قدم به إلى الكوفة احلق رأسه وألبسه الخلقان ليقلل من جمال طلعته ففعل والده به ما أشار به الإمام فلم يزده إلا جمالاً .

وقال وكيع كنا نكره أن نمشي مع محمد في طلب الحديث لأنه كان غلامًا جميلاً.

وقال عن الإمام الشافعي : لقيته أول ما لقيته وهو قاعد في الحجرة وقد اجتمع عليه الناس فنظرت إلى وجهه فكان من أحسن الناس وجهًا فإذا جبينه كأنه عاج ثم نظرت إلى لباسه فكان من أحسن الناس لباسًا وسألته عن مسألة فيها خلاف وإني أطمع أن يلحقه ضعف أو يلحن في كلامه فمر كالسهم فقوي مذهبه ولم يلحن في كلامه وقال: ما رأيت سمينًا أفهم منه ولا أخف روحًا منه .

*** مؤلفاته :**

بلغت مؤلفاته تسعمائة وتسعين كتابًا في علوم الدين ويظهر مما يعده ابن النديم في كتابه (الفهرست) أن المتقدمين كانوا يطلقون كلمة على كل قطعة قائمة بذاتها سواء أكانت صغيرة أم كبيرة فمثلاً الكلام الذي يتعلق بالصلاة يسمونه كتابًا وكذلك ما كان خاصًا بالزكاة وغيرهما فموضوعات الفقه ومباحثه كانت مفرقة فجمعها المتأخرون فالمؤلف الآن يجمع كتبًا والكتب تشمل على الأبواب والفصول ولذلك نرى ابن النديم يعد المؤلفات بطريقة غير معروفة الآن .

قال ابن النديم: إن محمد بن الحسن كان ينزل في باب الشام في مسجد في درب أبي حنيفة وكان يجلس في وسطه وتقرأ عليه كتبه وكان يجاوره في الدرب الراوندي الذي عمل كتاب الدولة وكان يجتمع إليه الراوندية وكان يتعمد يوم مجلس محمد فيجلس في المسجد ويقرأ عليهم فإذا قرأ رجل من أصحاب محمد شيئًا من كتبه صاحوا به وأسكتوه فترك محمد الجلوس في ذلك المسجد وصار إلى

المسجد المعاق بباب درب أسد فكانت الكتب تقرأ عليه هناك .

ولمحمد من الكتب في الأصول كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب المناسك ، كتاب نوادر الصلاة ، كتاب النكاح ، كتاب الطلاق ، كتاب العتاق وأمهات الأولاد ، كتاب السلم والبيوع ، كتاب المضاربة الكبير ، كتاب المضاربة الصغير ، كتاب الإيجارات الكبير ، كتاب الإيجارات الصغير ، كتاب الصرف ، كتاب الرهن ، كتاب الشفعة ، كتاب الحيض ، كتاب المزارعة الكبير ؛ كتاب المزارعة الصغير ، كتاب المعاوضة وهي المشاركة ، كتاب الوكالة ، كتاب العارية، كتاب الوديعة ، كتاب الحوالة ، كتاب الكفالة ، كتاب الإقرار ، كتاب الدعوى والبينات ، كتاب الحليل ، كتاب المأذون الصغير ، كتاب القسمة ، كتاب الديات، كتاب جنايات المدبر والمكاتب ، كتاب الولاء ، كتاب السرقة وقطاع الطريق ، كتاب الصيد والذبائح ، كتاب العتق في المرض ، كتاب العين والدين، كتاب الرجوع عن الشهادات ، كتاب الوقوف والصدقات كتاب الغصب ، كتاب الدور ، كتاب الهبة والصدقات ، كتاب النذور والأيمان والكفارات ، كتاب الوصايا ، كتاب حساب الوصايا ، كتاب الصلح والخنثى والمفقود ، كتاب اجتهاد الرأى ، كتاب الإكراه ، كتاب الاستحسان ، كتاب اللقيط ، كتاب اللقطة ، كتاب الآبق ، كتاب الجامع الصغير ، كتاب أصول الفقه ، وله كتاب يعرف بكتاب الحج يحتوى على كتب كثيرة ، كتاب الجامع الكبير ، كتاب أمالى محمد في الفقه وهي الكيسانيات ، كتاب الزيادات ، كتاب التحري ، كتاب المعاقل ، كتاب الخصال ، كتاب الرد على أهل المدينة ، كتاب نوادر محمد رواية ابن رستم.

هذه كتب محمد التي ذكرها ابن النديم وأمهات هذه الكتب كما يقول الحنفية ستة : المبسوط ، والزيادات، والجامع الصغير، والجامع الكبير، والسير الصغير ، والسير الكبير ، وهي المسماة في عرف الحنفية بكتب ظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد بروايات الثقات فهي ثابتة عنه وكتبه الأخرى لم تصل بسند مثل سابقتها مثل الكيسانيات والهارونيات والجرجانيات والرقيات وقد جمع الإمام السرخسي في مبسوطه كتب ظاهر الرواية كلها وقد اعتنى غيره أيضًا بتلك الكتب.

قال صاحب كشف الظنون : أكمل الدين عند كـلامه عن الجامع الكبير وقد اشتمل على عيـون الروايات ومتون الدرايات بحيث كاد أن يكون معـجزاً ولتمام لطائف الفقه منجزاً إلخ .

*** توليته القضاء ووفاته :**

تولى القضاء بعد وفاة أبي يوسف لأنـه بعد وفاة أبي يوسف في زمن الرشيد لم يكن أحد أولى بالتقـديم من فقهاء الحنفيـة سوى محمد بن الحـسن ولقد كان أهل بغداد يميلون إليه ويأخذون بقوله ولما كان الرشيد بالرقة قابله محمد بها فولاه قضاءها ثم صرفه عنها فقدم بغداد وأقام بـها متصلاً بالرشيد إلى أن خرج الرشيد إلى الري الخرجة الأولى فـخرج معه وولاه قـضاءها فمات بالرى بقـرية يقال لها نديهه بفـتح الراء وسكون النون وفتح الباء سنة تسـع وثمانين ومائة وعمـره ثمان وخمسـون سنة مات هو والكسائي عالم العـربية في يوم واحد فقـال الرشيد دفن بالري الفقه واللغة .

وروى أنه ارتحل عنها وقال : إنها بلدة مشؤومـة دخلتها ومعي الفقه والأدب وخرجت وليس معي شيء.

ودفن محـمد برنبويـه هذه رواية ياقوت في معـجم البلدان وابن خلكان في تاريخه .

ويخالفهم في ذلك الكـردري صاحب مناقب أبي حنيفة إذ يقول إن مـحمداً دفن بجـبل طبرك (قلعـة بالري) بقرب دار هشـام بن عبد الله الـرازي لأنه كان نازلاً عليه والكسائي دفن برنبويه وبينهما أربعة فراسخ وكان معسكر الرشيد أربعة فراسخ فنزل مـحمـد في جانب والكسـائي في الجانب الآخر ويظـهر أن هذا هو الصحيح .

هذا عن حياة محمد بن الحسن الشيباني صاحب كتاب الاكتساب .

أما المختصر الذي بين أيدينا فهو لمحمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال كان مولده سنة ثلاثين ومائة فهو أكبر من أسـتاذه محمد بن الحسن سنا وتأخرت وفاته عن محـمد بكثيـر فقد توفي سنة ثلاثًا وثلاثـين ومائتين وله من العمـر مائة سنة

وثلاث.

قال الخطيب البغدادي : ولى ابن سماعة قضاء مدينة المنصور سنة اثنتين وتسعين ومائة بعد موت يوسف ابن الإمام أبي يوسف فلم يزل على القضاء إلى أن ضعف بصره فعزله المأمون وضم عمله إلى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

قال ابن النديم : محمد بن سماعة أخذ عن محمد بن الحسن وكان فقيهًا وله كتب مصنفة وأصول في الفقه وله من الكتب كتاب أدب القاضي كتاب المحاضر والسجلات وقد روى كتب محمد بن الحسن عنه وقد ذكرناها قال يحيى ابن معين يوم وفاته: مات ريحانة العلم من أهل الرأي وتفقه عليه أبو جعفر بن أبي عمران البغدادي شيخ الطحاوي وغيره رحمهم الله جميعًا.

وبعد : يسر مكتبة (الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة) أن تقدم لقرائها الكرام هذا الكتاب القيم حرصا من القائمين فيها على نشر كتب السلف رضي الله عنهم أجمعين .

*** عملي في الكتاب :**

١ـ مراجعة الكتاب لغويًا وضبطه .

٢ـ تخريج الآيات القرآنية .

٣ تخريج الأحاديث النبوية .

٤ـ تعريف بعض الكلمات الغريبة .

٥ ـ عمل عناوين للكتاب جانبية بين معقوفتين حتى تتميز عن كلام المؤلف.

٦ ـ عمل مقدمة مختصرة ، عن المؤلف ومختصر الكتاب محمد بن سماعة.

وأخيرًا أدعو الله أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة.

عبد الله المنشاوي